الدعوة إلى الحروف اللاتينية

* الدكتور عبد القادر عبداوي
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة سيدي بلعباس

بعدما عرفت أوربا نهضة في مجالات عديدة وميادين شتى، سعت إلى السيطرة على مناطق وشعوب أخرى من العالم، ولاسيما العرب والمسلمين. فكان الاستعمار الأوربي الحديث للبلاد العربية والإسلامية. وقد كان هذا الاستعمار في البداية سياسيا وعسكريا ودينيا، ثم صار فكريا ولغويا وثقافيا. ومن أبرز حملات المستعمرين، ومن شايعهم من المستشرقين والمستغربين، نجد الدعوة إلى الحروف اللاتينية. وذلك لأن هذه الحروف من صنيع الأوربيين، وتُكتب بها لغاتهم، فسعوا إلى نشر هذه الحروف وتعميمها على البلدان المستعمَرة، حتى تبقى تابعة لها وتسير في ركابها، اقتصاديا وثقافيا ولغويا.

مفهوم الدعوة إلى الحروف اللاتينية

يُراد بهذه الدعوة كتابة لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات بالحروف اللاتينية. أي إحلال هذه الأخيرة محل الحروف السابقة التي كانت تُكتب بها هذه اللغات إن كانت مكتوبة. كما حدث مع اللغة العثمانية (التركية القديمة) التي كانت تُكتب بالحروف العربية، ثم استبدلت حروفها بالحروف اللاتينية. أما إن لم تكن هذه اللغات مكتوبة من قبل، فيُشرَع في كتابتها لأول مرة بالحروف اللاتينية، مثلما تم مع لغات ولهجات إفريقية وآسيوية.

الدعوة إلى الحروف اللاتينية في البلاد العربية

لقد بدأت الدعوة إلى ذلك مع بعض المستشرقين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومن هؤلاء ولْهِلْم سِپِتا (Wilhelm Spitta) في

سنة 1880. ثم كارل فولَرْز (K. Vollers) في سنة 1890. وأيضا سلدن ولمور (Seldon Willmore) في سنة 1901.[1]

وحتى بداية أربعينات القرن العشرين لم تحظ هذه الدعوة بالانتشار والتأثير في الفكر العربي، لأنها لم تكن باللغة العربية بل باللغتين الإنجليزية والألمانية، ولقلة اللغويين والمتقنين لهتين اللغتين الأجنبيتين.

غير أنه بعدما نُشر اقتراح عبد العزيز فهمي[2]، ظهر بعض الداعين للتنة[3] الكتابة العربية. مثل سلامة موسى، ورشدي معلوف، وسعيد عقل،[4] وأنيس فريحة.

أضرار الدعوة إلى الحروف اللاتينية

يمكن للمُطَّلع على مضمون هذه الدعوة وأهدافها أن يقرر بأن هناك أضرار كثيرة وسلبيات جسيمة تنجم عن الدعوة إلى تبني الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية والتخلي عن الحروف العربية. ومن أبرز هذه الأضرار والسلبيات نذكر الآتي:

1.- حدوث مشاكل كثيرة ومعقدة جراء هذه الدعوة. وفي هذا الصدد يقول كمال بشر[5]: " إن الإصلاح المنشود يقتضي تغيير النظام الألفبائي بأجمعه، وذلك بوقع المصححين في مأزق صعب، تتمثل جوانبه في مشاكل كثيرة. أهمها ازدواجية النظام الكتابي في فترة الانتقال على الأقل، وذلك أمر يشق استيعابه على المتعلمين، بل ربما يؤدي إلى الخلط والتعقيد." [6]

2.- قطع الصلة بين مستقبل العرب وماضيهم، وإعاقة الأجيال القادمة عن الانتفاع من التراث العربي الضخم والثمين والنفيس. مما يؤدي إلى ضعف الوحدة العربية.

3.- عدم معالجة معظم عيوب الحروف العربية.[7]

4.- طرح مشاكل كثيرة وكبيرة وخطيرة.

5.- ترجمة التراث العربي بحروف غير عربية، كالحروف اللاتينية، غير ممكن لأنه كبير جدا، وتكاليفه باهظة تفوق كل الحسبان.

6.- زيادة الحروف إلى الضِّعف أو أكثر، عند كتابة كلمات كثيرة. فمثلا الكلمة (تَرَكَ) المتكوِّنة من ثلاثة حروف، والكلمة (ثم) المتألِّفة من حرفين، تصيران عند كتابتهما بالحروف اللاتينية هكذا (taraka) و(thomma). فعدد الحروف تضاعف مرة، من ثلاثة حروف إلى ستة بالنسبة للكلمة الأولى، وتضاعف مرتين، من حرفين إلى ستة حروف بالنسبة للكلمة الثانية. وتؤدي زيادة الحروف إلى زيادة في الحبر والورق والوقت والجُهد والإنفاق.

7.- زوال الخطوط العربية وزخرفاتها المتعدِّدة والرائعة والبديعة. فالخطوط العربية تُعتبَرة من أرقى الخطوط في العالم، قديما وحديثا. حيث أن "حروف العربية مرنة وسهلة، لها في النفوس ما للصور من الجمال الفني، ولا سيما حين تُنقش على مداخل المباني أو الأضرحة".[8]

8.- لا تصلح الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية، إذ فيها حروف تُنطَق بعدة أشكال[9]. والنماذج في هذا المضمار كثيرة جدا، يمكن أن نكتفي بذكر بعضها.

ففي اللغتين الإنجليزية والفرنسية يوجد الصوت (ش)، لكن لا يوجد حرف واحد بسيط مقابل له، بل يُكتب بحرف مركب، أي بحرفين اثنين مجموعتين هما (SH) بالنسبة للإنجليزية، و (CH) بالنسبة للفرنسية.

وكذلك في اللغتين الإنجليزية والفرنسية يُلاحَظ أن الصوت (ك) يُكتب بثلاثة حروف بسيطة وحرف مركب (C, K, Q, CH).

وفي الفرنسية أيضا نجد أن الحرف (S) أحيانا يُنطق بصوت (س)، وأحيانا يُنطق بصوت (ز)، وفي بعض الحالات لا يُنطق أصلا.

وكذلك في اللغة الإنجليزية نجد أن الحرف المركب (TH) في بعض المرات يُرمز به للصوت (ث)، وفي مرات أخرى يُرمز به للصوت (ذ).

وأيضا الحرف (T) في اللغة الفرنسية أحيانا يُنطق (ظ)، بعد صوتيْ (A, O)، وأحيانا يُنطق (ت)، بعد بقية الأصوات الصائتة (E, I, U, Y, OU, AI, É).

9.- لا تتضمن الحروف اللاتينية كل أصوات اللغة العربية. حيث توجد في العربية أصوات لا توجد في لغات أخرى. فمثلا الأصوات التي توجد في اللغة العربية دون اللغة الإنجليزية يبلغ عددها عشرة (10) هي: ء، ح، خ، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ق.

وهناك اثنا عشر (12) صوتا توجد في العربية ولا توجد في الفرنسية، وهي: ء، ث، ح، خ، ذ، ر، ص، ض، ظ، ع، ق، هـ.

10.- حَفِظ الخط العربي حتى الآن وحدة اللغة العربية، وهو كفيل بنقل الألفاظ على وتيرة يفهمها الجميع.[10] ومن ثم لا ينبغي تغييره بخط لا يحظى بهذه الخاصية.

11.- قلة تيسير الكتابة: التي هي الأصل فيما يُقرّأ. ويُعد الخطأ في الكتابة أقل ضررا من الخطأ في النطق.

12.- تتضمن الحروف اللاتينية المقترحة، من قبل دعاة اللتننة[11]، عدة زوائد، مثل النقط والفواصل، والخطوط الصغيرة المتعددة الأشكال.

13.- التشابه بين حروف كثيرة، مما من شأنه أن يوقع في الالتباس.

14.- تعسير تعلُّم العربية على الأجانب، لوجود حروف غريبة لا يعرفونها، و غير مألوفة عندهم. إذ بعض هذه الحروف عربي، وبعضها لا تبني معدّل. حسب ما ورد في بعض مقترحات اللتننة.

15.- الزيادة في عدد الحروف. لأن كل حرف لاتيني يتضمّن شكلين كبيرا وصغيرا. كما أن الحرف الواحد قد يزيد عدد أشكاله بزيادة النقاط أو المميزات[12]، مثل (A a À à â E e è é ê ë I ì î ï O o ô U u ù û ü Y y ÿ).

16.- تشويه الكتابة بتضمينها حروفا عربية ولاتينية ويونانية، وعلامات ترقيم، ورموزا أخرى. كما جاء في مقترحات بعض الداعين إلى الحروف اللاتينية.

17.- الإفساد في محتوى اللغة العربية، لا سيما إيقاع القصيدة.

18.- التغيير في بعض علوم العربية، مثل علم القراءة والكتابة.

19.- تغريب العرب، وتغيير ثقافتهم جذريا.

20.- "تقويض بنية النحو العربي وروح الثقافة العربية، وكذا الخط العربي الذي هو الفن التجويدي الخاص بالمسلمين".[13]

21.- لا تقف الآثار السيئة على العرب فقط، بل تتعداهم إلى كل من يستعملون الحرف العربي، من المسلمين وغيرهم، وأعدادهم كبيرة تفوق المليار، ومتوزعين على مناطق واسعة من العالم.

22.- صعوبة العرب في الوقت الحالي التفاعل مع هذه المعالجة، كتابة وقراءة.

23.- الفوضى في الكتابات المقترحة، لأنها اجتهادات شخصية، عُرضة للنقد والمناقشة، وتحتاج باستمرار للتطوير والتحسين، وإزالة النقائص وتلافي العيوب، وبالتالي الأخذ والرد.

24.- لا يُمنع من تعدد اللهجات، ومن اختلاف القراءات للكلمة الواحدة. مثلما هو الحال مع اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية، كالفرنسية والإنجليزية على سبيل المثال. مما اضطر أصحاب هذه اللغات إلى وضع قواميس خاصة بالنطق. حيث أن المتعلم يلزمه معرفة نطق أي كلمة جديدة يتعلمها. وهذه سلبية لا توجد في اللغة العربية، إذ هي لغة "كما تُكتب تُنطق وكما تُنطق تُكتب".

25.- إمكانية تفرع اللغة الواحدة إلى عدة لغات، كما حدث مع اللغة اللاتينية التي تفرعت إلى عدة لغات (إيطالية، فرنسية، إسبانية، برتغالية)؛ وتشعّبت كل لغة منها إلى عدة لهجات.

26.- الاختلاف في الحروف اللاتينية المقترحة كمقابلات للحروف العربية، بين الداعين لها، بل حتى عند الداعي الواحد. وهذا ما يُلاحظ على سعيد عقل.[14]

27.- تغيير النظام الألفبائي. وفي هذا الصدد نجد أن كمال بشر يذكر ما يلي: "تغيير النظام الألفبائي يوقعنا في حيرة إزاء تراثنا الضخم: ماذا نفعل به؟ نُهمله ونتركه على حاله أم نترجمه بالنظام الجديد؟ وجهان للإصلاح لا قِبَل لنا بهما:

- ✓ إهمال التراث إهمال لثروة علمية حضارية ثقافية ضخمة.
- ✓ وترجمة هذا التراث بالنظام الجديد يحتاج إلى وقت لا تقدّر أبعاده، وإلى رجال عارفين مدربين من الصعب انتقازهم. كما يقتضي الأمر وفرة من المال الذي ربما لا يصل بنا إلى غايتنا المنشودة."[15]

مساوئ تغيير الحروف

في مضمار تغيير حروف اللغة، أي الألفبائية أو النظام الألفبائي، نرى أن خير مثال يمكن ذكره هو ما حدث في تركيا. حيث بعدما غيّر مصطفى كمال أتاتورك[16] كتابة اللغة التركية[17] من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية، حدث انفصال كبير بين حاضر تركيا وماضيها، ونتج إهمال لإرثها وتاريخها.

فبعد أكثر من ثمانين سنة من ذلك التغيير، لم يُترجَم لحد الآن أغلب تراث الدولة العثمانية، التي توسعت إلى عدة بلدان وقارات، ووسعت عدة معارف وثقافات.

وللعلم فإن ذلك التراث يُعد بملايين الوثائق والكتابات التي تمّت خلال قرون. مما جعل الكثير من شرائح المجتمع التركي خاصة، والمسلمين عامة، لا يعرفون، بل ولا يستطيعون أن يعرفوا، بشكل جيد إرثهم العظيم.

ومن الأمثلة أيضا في هذا السياق نذكر حالة شعبَيْ الصرب والكروات اللذيْن لهما لغة واحدة. غير أن بينهما عداء لأسباب مذهبية، حيث أن الصرب أرثوذكس والكروات كاثوليك. وهذا ما أدى إلى كتابة لغتهما الواحدة بألفبائيتين مختلفتين. فيستعمل الصرب الألفبائية السيريلية[18]، ويستعمل الكروات الألفبائية اللاتينية.[19]

ومن الأمثلة كذلك اللغة الهندستانية التي تُكتب بألفبائيتين متباينتين، الألفبائية العربية بالنسبة للمسلمين، والألفبائية الديوناغرية[20] بالنسبة للهندوس.[21] وسُمِّيت لغة المسلمين باللغة الأردية، وأطلق على لغة الهندوس اللغة الهندية.

فتغيير الألفبائية ليس بإجراء شكلي عادي، بل يعني الانفصال والتحول من عالم ثقافي وحضاري وتاريخي معيّن، إلى عالم ثقافي وحضاري وتاريخي آخر.

ومادام القرآن، الكتاب المقدّس للمسلمين، والمفخرة لبعض المنصفين من غير المسلمين[22]، أدباء ومثقفين، ثابت الكتابة بالعربية، فهذا وحده كاف لرفض أيّة دعوة من شأنها تغيير كتابة اللغة العربية بالحروف العربية العريقة والأصيلة، واستبدالها بحروف أخرى لا تمت لها بصلة مهما علا شأن أصحابها وارتفع.

هوامش وإحالات

* الدكتور عبد القادر عيساوي، أستاذ محاضر بكلية الآداب واللغات والفنون، في جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر).

[1] – يُنظر: د. إميل يعقوب، الخط العربي: نشأته، تطوره، مشكلاته، دموات إصلاحه، د. ط، طرابيشي (بيان)، حروف عربي، د. ت، ص 81 و 91. نقلا عن: نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، ص 18.

[2] – الدكتور عبد العزيز فهمي (1870–1951): سياسيّ وقانونيّ مصريّ. كان وزيرا للعدل في سنة 1925، وعضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في سنة 1940. اشتهر بدعوته للحروف اللاتينية، حين اقترحت باسمه، نظرا لكثرة شرحه لها والدفاع عنها. وقد أحصى لها ستة عشر (16) مرئية. د. إميل يعقوب، الخط العربي، م س، ص 82 و84 و86.

[3] – المقصود بمصطلح "النسخ" إضفاء الطابع الآلي على شيء ما، مثل كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية.

[4] سلامة موسى في كتابه "البلاغة العصرية واللغة العربية"، ص 161–166.

ورشدي المعوف في مقاله "درس من مصطفى كمال"، في مجلة الآداب، ج5، عدد 3، سبتمبر 1952، ص 353–363. وسعيد عقل في مقاله "محصلات وقوى"، محاضرات الندوة اللبنانية، ج8، عدد 6، أبريل 1954، ص 2708.

د. إميل يعقوب، الخط العربي، م س، ص 81–82.

[5] – الأستاذ الدكتور كمال بشر نحوي متميز معاصر. حصل على دكتوراه في علم اللغة من بريطانيا، له إسهامات بارزة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. من مؤلفاته: "علم الأصوات" و"فن الكلام".

[6] – ينظر: أ.د. كمال بشر، علم الأصوات، ط1، القاهرة، دار غريب، (2000م)، ص 428.

[7] تحدثنا عن هذه العيوب في أطروحتنا الدكتوراه، تحت إشراف المكتوره أمينة طيبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس (الجزائر)، 1433 هـ / 2012 م، الباب الثاني، ص 85–86.

[8] – د. إميل يعقوب، الخط العربي، م س، ص 93 . نقلا عن: دونسوث وارس، مقال "أثر اللغة العربية في العالم الإسلامي"، مجلة الرسالة، ج 1، العدد 6، أبريل 1933، بيروت، ص 21.

[9] للمزيد ينظر: فصل "الحروف العربية" من كتاب "الوجيز في اللغة العربية وعلومها"، ط 1، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، 1432 هـ / 2010 م، ص 39 – 64.

[10] – أنور الجندي، نحو ثقافة عالمية: المعهد د. ط، قسنطينة، منشورات مكتب الطلبة (جامعة قسنطينة)، قسنطينة، 1406 هـ / 1985 م، ص 24.

[11] – مثل عبد العزيز فهمي، وسعيد عقل، وأنيس فريحة وغيرهم. وقد فصلنا أهم هذه المقترحات في بحث المحفوظ "إصلاح الكتابة العربية في العصر الحديث".

[12] – حرف كبير Lettre majuscule . حرف صغير Lettre minuscule . نبرة Accent.

[13] – هنا نقرأ لماسينيون (Massignon) د. إميل يعقوب، الخط العربي، م س، ص 93 . نقلا عن:

Vincent Monteil, Etudes Arabes et Islamiques, l'Arabe Moderne, p. 50.

[11] – عند المقارنة بين الحروف اللاتينية المقترحة في كتابه "بارا – شعرا" الصادر سنة 1961، وفي كتابه "شعراء فينيقيّي – آيات وصور" الذي صدر سنة 1967. د. إميل يعقوب: الخط العربي، م س، ص 95.

[15] – أ.د. كمال بشر، علم الأصوات، م س، ص 428.

[16] – مصطفى كمال أتاتورك: وُلد سنة 1881 في تركيا، ألغى الخلافة الإسلامية، وأسس الجمهورية العلمانية سنة 1923. وفي سنة 1928 استبدل كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بعدما كانت تُكتب بالحروف العربية طوال قرون. توفي سنة 1938.

[17] – اللغة العثمانية واللغة التركية: اصطُلح على تسمية لغة الأتراك المكتوبة بالحروف العربية بـ "العثمانية"، وهي لغة قديمة مهنة. بينما أُطلق على لغة الأتراك المكتوبة بالحروف اللاتينية تسمية "التركية"، وهي لغة حديثة جدا. كتاب: الوجيز في اللغة العربية وعلومها، م س، ص 50.

[18] – الحروف السيريلية: نسبة إلى العالم سيريل، وهي الحروف التي تُكتب بها اللغة الروسية، وبعض لغات الاتحاد السوفيتي سابقا.

[19] – يُنظر: إبراهيم سعدي، إشكالية التواصل اللغوي بالجزائر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، عدد 2، الجزائر، مطبعة هومة، 1999، ص 149.

[20] – الحروف السيريلية العربية: هي الحروف التي تُكتب بها اللغة المغاربية.

[21] – كتابنا: الوجيز في اللغة العربية وعلومها، م س، ص 51.

[22] – هناك من المسيحيين واليهود وغيرهم من يحفظ القرآن، ومن يسود باستمرار. لقد شاهدت في إحدى القنوات الفضائية المحلية أحد علماء اليهود يحفظ القرآن كاملا. ورأيت في نفس الوقت الجزيرة امرأة مسيحية تذكر أن ابنها مصحفا تتلوه باستمرار، وأنها تحترمه بشكل كبير، حيث تضعه دائما في مكان أعلى من كل شيء، ولا تضع تحته أيّ شيء.